بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمد للّه نحمدهُ ونستعينُه ونستغفرهُ ونستهديه، ونعـوذ باللّـهِ مـن شرورِ أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده اللّه فلا مضل له، ومن يضلل فـلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحدهُ لا شـريك لـه وأشـهد أن محمـداً عبدهُ ورسوله وصفوته من خلقهِ. وبعد:

فإن علوم القرآن من أشرف العلوم وأجلّها، وأفضلها علـى الإطـلاق وأنفعها، لكون موضوعها كتاب اللّه، ولكون غايتها الاعتصام بكلام اللّـه، ولهذا الأمر اهتم الصحابة والتابعون، ومن جاء بعدهم، وسار على هديهـم بهذا العلم، فأقبلوا على كتـاب اللّـه مفسـرين ألفاظـه، موضحـين معانيـه، كاشـفين عــن علومــه وحقائقــه، مظهريــن إعجــازه وبيانــه، مُجَلّــين محاسنه........إلى غير ذلك من أنواع الاهتمـام الـتي أطلقـوا عليهـا متـأخراً مصطلح «علوم القرآن».

وقد تفاوتت اهتمامات العلماء بهذه العلوم، فمنهم من فسـر القـرآن كله، ومنهم من اقتصر على تفسير سورٍ أو آياتٍ منــه، ومنهـم مـن صـرف

اهتمامه إلى جانب من جوانبه، فتناوله بالبحث والتحقيق والتدقيق، حتى أصبحت هذه العلوم خير عونٍ للباحثين من أهلِ القرآن الذين يريدون الغوص في بحره الزاخر، واستخلاص شيء من الدرر والجواهر.

ولما كان موضوع رسالتي في مرحلة الماجستير بعنوان (الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، من بداية الكتاب إلى نهاية النوع الخامس والأربعين دراسة وتحقيقاً). وكان من فضل الله عليَّ أن هيأ لي سبل التسجيل في مرحلة الدكتوراه، رأيت أن أتابع المشوار الذي بدأته، وآثرت أن يكون موضوع رسالة الدكتوراه أيضاً في هذا الفن، أقصد علومَ القرآن، ولذا يمَّمت شطر خزائن المكتبات المخطوط منها والمطبوع أبحث في كتب علومِ القرآن، لعلي أحظى بموضوع لم ينل حظه من البحث والدراسة فوجدت أن علماءنا قد تركوا لنا تراثاً علمياً ضخماً، فلا تكاد تجد موضوعاً من موضوعات علوم القرآن إلا وقد بُحث وكُتب فيه على تفاوت في الذي كُتب، فعدت أدراجي إلى ما كان يدور في خلَدي أيام الماجستير من أهمية دراسة علوم القرآن دراسة تاريخية موضوعية، واستقر العزم على وضع مخطَّط تفصيلي لذلك، فأنشأت مخططاً للموضوع من أربعة أبواب، كان الأخير منها بعنوان: **علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير**.

وكعادة الطلبة والباحثين عرضت المخطط قبل تقديمه إلى القسم المختص على نخبة من أساتذتي وأشياخي الأفاضل من الذين أعلم عنهم الاهتمام والجدية، والمنهجية العلمية، فكانوا بين مشجع عليه، لأهمية

الموضوع، ورافض له ظانٌّ أن الموضوع مطروق، حتى عرضته على أستاذَيَّ الفاضلين، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، وفضيلة الأستاذ الدكتور علي بن سليمان العبيد - يحفظهما اللّه - وكنت على علم بعظيم اهتمامهما بالمخططات والموضوعات، فاختلف رأيهما مع من عرضت عليهم، إذ لم يشجعا ولم يرفضا، بل لفتا انتباهي إلى زاوية منه، وأشارا إلى الاكتفاء بمقدمات التفاسير، ومحاولة وضع مخطط لذلك.

وقد ترددت بادئ الأمر فالموضوع حسب اعتقادي قاصر لا يكون لمرحلة الماجستير، فكيف أتقدم به للدكتوراة، ثم إنني قد وضعته باباً من ضمن أربعة أبواب للموضوع المقترح! غير أنني حملت الفكرة باهتمام، وأوليتها العناية، وما هي إلا أيام من التفكير الجاد، والبحث المستمر بين صفحات مقدمات التفاسير، حتى فتح اللّه قلبي للموضوع، وتوجه العزم إلى وضع مخطط مبدأي له، واستخرت اللّه وما خاب من استخار، وراجعت أهل المشورة من أساتذتي، وما ندم من استشار، فوجدتهم بين مرحب بالموضوع مشجع، ومثبِّطٍ للهمة غير مقتنع بانصرافي إلى هذه الجزئية وترك موضوعات أخرى هي أحوج إلى البحث والتحقيق.

وهكذا عشت فترة من الوقت بين تشجيع أولئك وتثبيط هؤلاء، أقدم رِجْلاً وأؤخر أخرى حتى وجدتني وبتعاون من أستاذَيَّ الكريمين قد وضعت مخططاً من ثلاثة أبواب رئيسة، ومقدمة وتمهيد وخاتمة، أحسبه محكماً، جمعت فيه بين تاريخ علوم القرآن ونشأته، وهو ما توخيته من

الموضوع الأول، وبين مقدمات التفاسير وهو الباب الرابع من المخطط السابق، وتقدمت إليهما بالمخطط بعد أن سميته: (**علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير**) فشجعا العمل وباركاه، وأيدا المخطط واعتمداه، وأوصياني بتقديمه إلى مجلس القسم، فكانت الموافقة بفضل الله.

ولما رُفعَ المخطط إلى مجلس الكلية للتصديق عليه واعتماده، تهيبت الأمر في البداية،خاصة كلما تذكرت تلك المجلدات العظام التي ألزمت نفسي بدراستها وتحليل محتوى مقدماتها، فقد بلغ عدد التفاسير المرشحة للدراسة نحواً من ثلاثين تفسيراً بين مخطوط ومطبوع، وقديم ومحدث، هن أمهات كتب التفسير، إلى أن جاءت الموافقة فكانت برداً وسلاماً، فقد رأى الشيوخ الأفاضل في مجلس الكلية صعوبة الموضوع وسعته، فكان التعديل بالاكتفاء بالقرون الثمانية الأول، مع عدم تعيين التفاسير التي كنت قد عينتها، والاكتفاء بالمطبوعة منها، فصار المخطط بعد إدخال التعديلات المطلوبة بعنوان: (**علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري**)، وهذا تفصيله:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة وفهارس.

**المقدمة:** بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره وخطة البحث.

**التمهيد:** أهمية مقدمات التفاسير، والتعريف بها ونشأتها.

**الباب الأول: علوم القرآن دراسة تاريخية:**

**الفصل الأول**: تعريف عام بعلوم القرآن ونشأته.

١- علوم القرآن بالمعنى اللغوي.

٢- علوم القرآن بالمعنى الاصطلاحي.

٣- نشأة علوم القرآن.

**الفصل الثاني**: التأليف في علوم القرآن:

١- المرحلة الأولى: من القرن الأول إلى نهاية القرن الرابع الهجري.

٢- المرحلة الثانية: من نهاية القرن الرابع إلى بداية القرن العاشر الهجري.

٣- المرحلة الثالثة: من بداية القرن العاشر إلى العصر الحالي.

**الباب الثاني: مقدمات التفاسير:**

تناولت في هذا الباب جميع التفاسير المطبوعة التي لها مقدمات من بداية التفسير إلى نهاية القرن الثامن الهجري.

وجعلت كل كتاب في مبحث مستقل، وتناولت فيه النقاط التالية:

١- التعريف بالتفسير والمقدمة والمؤلف.

٢- عرض موضوعات المقدمة.

٣- منهج المؤلف في مقدمته.

٤- مصادر المؤلف في مقدمته.

٥- مدى التزام المؤلف في تفسيره بما ذكره في مقدمته.

٦- أهم مزايا المقدمة.

٧- أظهر المآخذ عليها.

**الباب الثالث: الموضوعات التي تناولتها مقدمات التفاسير:**

**الموضوع الأول:** نزول القرآن.

**الموضوع الثاني:** جمع القرآن وترتيبه.

**الموضوع الثالث:** رسم المصحف ونقطه وشكله ووضع الأخماس والأعشار.

**الموضوع الرابع:** سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه.

**الموضوع الخامس:** أسماء القرآن وأسماء سوره.

**الموضوع السادس:** فضائل القرآن وخواصه وآداب تلاوته.

**الموضوع السابع:** المكي والمدني.

**الموضوع الثامن:** التفسير والتأويل.

**الموضوع التاسع:** بيان شرف التفسير والحاجة إليه.

**الموضوع العاشر:** أوجه التفسير وطرقه وأنواعه.

**الموضوع الحادي عشر:** العلوم التي يحتاجها المفسر.

**الموضوع الثاني عشر:** مراتب المفسرين.

**الموضوع الثالث عشر:** الاختلاف بين المفسرين وقواعد الترجيح.

**الموضوع الرابع عشر:** الأحرف السبعة التي أُنزل عليها القرآن.

**الموضوع الخامس عشر:** الظهر والبطن والحد والمطلع.

**الموضوع السادس عشر:** ما وقع في القرآن بغير لغة العرب.

**الموضوع السابع عشر:** الوقف والابتداء.

**الموضوع الثامن عشر:** إعجاز القرآن.

وتناولت هذه الموضوعات من خلال المقدمات، وذلك بدراستها دراسة موضوعية مقارنة.

**الخاتمة:** وفيها أهم النتائج.

**الفهارس:**

فهارس شاملة للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وآثار الصحابة، والأعلام، والأشعار، والأماكن والبلدان، والفرق والقبائل، والمراجع، والموضوعات.

**منهجي في البحث:**

أما المنهج الذي سرت عليه في تدوين هذه الرسالة، فلم آتِ ببدعة في شيء منه، بل اخترت من مناهج الكتابة ما يتفق وطبيعة الموضوع بإشراف وتوجيه من شيخي المشرف ومباركة منه، وقد كان يحفظه اللّه كثيراً ما يلجم قلمي فلا يتركه ينطق بكثير من الاستطرادات التي يلتجئ إليها مثلي، إذ الكتابة العلمية الدقيقة تستلزم خلفية علمية قوية، وهو أمر أحسبه للشيوخ، وأُدْرِك أن ما يوجه إليه فضيلته حق لا مراء فيه، ولكن ما حيلتي والبضاعة مزجاة، مهما يكن فقد استطاع الشيخ تسييس تلميذه الجموح، فجاء المنهج الذي رسمته تحت أنظار الشيخ وتوجيهاته، منهجاً معتدلاً، ليس بالطويل الممل ولا القصير المخل، اتكأت في الصياغة على أهل الأدب، فقد كنت أسعى بين الفينة والفينة إلى مطالعة كتاب لأديب من الأدباء، أو كاتب اشتهر قلمه، ومع ذلك لا أنكر بأني كررت نفسي في كثير من المواطن، وخاصة في الباب الثاني من الرسالة، وهو أمر لم أجد عنه بُداً، فالبضاعة كما ذكرت مزجاة.

**هذا ويتلخص منهجي في النقاط الآتية:**

**١)** التوسط والاعتدال في النقول، وتوثيق النصوص من مصادرها الأصيلة قدر الإمكان، وفي توثيق النصوص أذكر اسم الكتاب والمؤلف ورقم المجلد والصفحة، فإن اعتمدت أكثر من طبعة ذكرت الطبعة في حينه بقولي: طبعة فلان، بذكر اسم المحقق أو الجهة التي طبعت الكتاب.

**٢)** وضع عناوين جانبية لرؤوس الموضوعات الجزئية والمسائل ضمن الموضوع الواحد.

**٣)** نسبة الأقوال إلى قائليها، وذلك إما بالتصريح باسم القائل في المتن، أو الاكتفاء بالإحالة إلى كتاب من كتبه.

**٤)** ترقيم الآيات القرآنية، وعزوها إلى سورها ضمن المتن وذلك بوضعه ضمن معقوفتين.

**٥)** تخريج الأحاديث والآثار من مظانها، وعزو الأخبار التاريخية إلى مصادرها.

**٦)** شرحت غريب الحديث واللغة معتمداً على المصادر الأصلية في ذلك.

**٧)** عرَّفت بالأعلام الواردة أسماؤهم في صلب الرسالة في الغالب، عدا المعاصرين منهم فلم أترجم لهم.

٨) أحلت القارئ إلى مواضع الأمثلة في كل ما ذكرته في الباب الثاني من منهج المؤلف أو مدى التزامه بما ذكره، دون سرد الأمثلة وذلك خشية الإطالة واكتفاءً بما سيرد في الباب الثالث.

٩) في الباب الثالث جمعت أقوال أصحاب المقدمات في مقدماتهم في مختلف الموضوعات بعباراتهم غالباً، مع التنسيق والترتيب، ولم أسقط من كلامهم إلا المكرر وما كان حشواً واستطراداً بعيداً، وذكرت في بداية كل موضوع مَنْ بحثه من المفسرين مرتبين حسب تواريخ وفياتهم، ليتبين تطور هذا العلم، وليظهر السابق من اللاحق، وليعرف مَن بحثه ممن تركه.

١٠) أعددت فهارس فنية للرسالة تساعد على كشف المضامين بسهولة ويسر.

وقد واجهتني في كتابة الموضوع صعوبات عديدة شأني في ذلك شأن أي باحث، تمكنت بفضل الله أولاً ثم بتوجيهات أستاذي المشرف فضيلة الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع ثانياً، ثم بوقفات جادة ومخلصة من أخوين عزيزين كريمين هما الشيخ المهندس حمود بن صالح الجربا، والشيخ فهد بن علي العندس ثالثاً، من التغلب عليها والحمد لله.

هذا والذين يُشكرون على مساعدتي في إتمام هذا العمل كثيرون، لا أعجز عن ذكرهم ولكن الموقف يتطلب الاختصار، فلهم مني الدعاء بعظيم الأجر والغفران.

وأجد لزاماً عليَّ أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والامتنان لأستاذي الفاضل الدكتور محمد بن عبد الرحمن الشايع، رئيس قسم القرآن وعلومه، والمشرف على هذه الرسالة على ما بذله من جهد، وصرفه من وقت، وأبداه من حسن توجيه وإرشاد في الإشراف على هذا العمل، وعلى ما لقيته منه - يحفظه الله - من سعة صدر، وحسن تقدير، وسؤال دائم عن كل ما يمكن أن يكون حائلاً دون إنجاز العمل، فله مني الشكر والعرفان، ومن الله الأجر والمثوبة.

وأشكر ثانياً أخي وزميلي الشيخ القدير والرجل النبيل الكريم فهد بن علي العندس، الذي كان لي خير معين في غربتي، فتح لي صدره يستمع إلى همومي وغمومي، وفتح لي مكتبته فكفاني هَمَّ التنقل بين المكتبات، ويعلم الله ما احتجت لشيء وسمع به إلا ووجدته لي سنداً بعد الله،ولن أستطيع شكره مهما فعلت، فأتركه لله يجزيه على حسنِ تعاملهِ بفضلٍ منه ورحمة، ويدخله الجنان مع آل بيته، إنه تعالى سميع مجيب.

كما أشكر القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعلى كلية أصول الدين وقسم القرآن وعلومه، على ما بذلوه ويبذلونه من الجهد خدمة للعلم وأهله.

وفي الختام إن ما كتبته جهد مُقلٍّ يسعى ليتعلم، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها، وقد قيل: الكتاب كالمكلَّف لا يَسْلَمُ من المؤاخذة، ولا يرتفع عنه القلم. فرحم الله من وقف على سهو أو خطأ فأصلحه، وما توفيقي

إلا باللّه، عليه توكلت وإليه أُنيب، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

**أهمية مقدمات التفاسير:**

اهتم العلماء منذ القديم بمضامين مقدمات التفاسير، فقد ضمنوها خلاصة أفكارهم، وزبدة آرائهم حول كثير من مسائل علوم القرآن ومباحثه، وهي آراء لم تطرق بعضها للبحث والنقاش،وعلوم القرآن إنما يعتنى بها، وتعطى هذه المكانة والأهمية لأنها توصل إلى معرفة مراد اللّه تعالى من كلامه للعمل بمقتضاه، ولكون المفسر قد طرق هذه الأبواب، وأدلى بدلوه في بيان معاني الآيات،كان من الضروري دراسة هذه المقدمات دراسة جادة، ومحاولة الغوص فيها لإبراز الدقائق العلمية في ثناياها، ومن ثمَّ معرفة مواقف المفسرين من مسائل علوم القرآن ليتبيَّن مدى معرفة المفسر بالعلوم المُعينة على فهم كتاب اللّه الفهم الصحيح، وليتبين بالتالي مدى إصابة المفسر القول في بيان مراد اللّه.

ولهذه الدراسة أهمية أخرى تكمن في معرفة تطور علوم القرآن ومباحثه عند المفسرين، وذلك لأن المفسر قد ضمَّن مقدمته رأيه في بعض المسائل، فجاء اللاحق ليتابع السابق فيما قاله وأثبته، وليستدرك عليه ما لم يقله مما هو مطلوب قوله، كما يبين تأثر المفسرين بعضهم ببعض، وغير ذلك مما يتبين منه للقارئ تطور هذه المسائل عند المفسرين.

ثم إن المقدمات هي أول المصنفات التي جمعت أكثر من موضوع من

موضوعات علوم القرآن في موضع واحد، فهي النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن، وهذا جانب هام.

ولا شك أن بحثاً يضم مثل هذه المعلومات، ويبين ما كتبه علماؤنا الأجلاّء يسهل على طلبة العلم الراغبين في فهم القرآن كثيراً من الوقت والجهد، ويضع بين أيديهم بإذن اللّه جهداً جاداً في بيان بعض الموضوعات التي كثر الجدل حولها، وتباينت الآراء بشأنها.

وبإيجاز يمكن القول: إن أهمية مقدمات التفاسير تنبع من الآتي:

١) أنها النواة الأولى للتصنيف الموسوعي في علوم القرآن.

٢) أنها تضمنت كثيراً من الأحاديث والآثار المتعلقة بعلوم القرآن، والتي رواها المفسرون بأسانيدهم.

٣) أنها حوت أقوال وآراء المفسرين في كثير من علوم القرآن ومسائله.

٤) أنها تضمنت ردود ومناقشات المفسرين المتأخرين لآراء وأقوال أسلافهم المتقدمين، فكان في ذلك تحرير لكثير من المسائل المختلَف فيها، وسيمر بالقارئ في الباب الثالث - إن شاء اللّه - كثير من تلك المناقشات المفيدة.

٥) التسهيل والتيسير على القارئ في التفسير، حيث يجد القارئ مبتغاه وما أشكل عليه من مراد المؤلف بين يديه، فلا يلجأ إلى غيره لتوضيح ذلك.

٦) أنها تقوي المعارف لدى القارئ لحسن الدفاع عن حمى الكتاب العزيز، دون الحاجة إلى الخوض في غمار المطوّلات من المصنفات.

٧) أنها علامة هامة في بيان تطور علوم ا لقرآن.

# التمهيد:

## تعريف المقدمة، ونشأة مقدمات التفاسير:

### أ – تعريف المقدمة:

المقدمة: الناصية، وما استقبل من الجبهة والجبين، ومقدِّمة الجيش – بكسر الدال – الذين يتقدمون الجيش.[١]، قال ابن منظور: وقيل يجوز بالفتح (مقدَّمة).[٢]

وقال ابن فارس: القاف والدال والميم: أصل صحيح يدل على سبق ورَعْف (أي سبق وتقدم)، ومنه: مقدِّمة الجيش: أوَّلُهُ. ومنه أيضاً: قَيدُوم الخيل: أنفٌ يتقدم عنه.[٣] ومقدمة كل شيء: أوَّلُه. ومن مقدمة الجيش استُعير لكل شيء، فقيل: مقدِّمة الكتاب، ومقدِّمة الكلام، ومقدمة الإبل.[٤]

هذا في اللغة، أما في الاصطلاح، فقد عرفها التفتازاني بقوله:

---

(١) انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٩/ ٤٧– وأساس البلاغة للزمخشري: ٤٩٦.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣٤.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٥ / ٦٥ – ومجمل اللغة له: ٣/ ٧٤٦.

(٤) انظر لسان العرب لابن منظور: ٣ / ٣٤.

يقال: مقدِّمة الكتاب لطائفة من كلامه قدمت أمام المقصود لارتباط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها أم لا.[(١)]

وفي «الكليات» لأبي البقاء: مقدمة الكتاب: ما يتوقف عليه الشرح على بصيرة.[(٢)]

وذكر التهانوي للمقدمة - بكسر الدال المشددة وفتحها - معاني كثيرة، ومن تلك المعاني: مقدمة الكتاب وعرَّفها بقوله: مقدمة الكتاب: طائفة من الألفاظ قدمت أمام المقصود لدلالتها على ما ينفع في تحصيل المقصود، سواء كان مما يتوقف المقصود عليه فيكون مقدمة العلم، أو لا، فيكون من معاني مقدمة الكتاب، من غير أن يكون مقدمة العلم.[(٣)]

وفي هذا المعنى استعمل القلقشندي مقدمة كتابه «صبح الأعشى»، فقد تحدث فيها عن مسائل أولية، وتعريفات تمهيدية، وقال: المقدمة للكتاب كالأساس من البنيان. ثم قال: والطريق إلى إصابة المعنى في هذه المقدمات أن تُجْعَلَ مشتملة على ما بعدها من المقاصد والأغراض.[(٤)]

---

(١) انظر: المطول على التلخيص مع شرح السيد الشريف: ١٣.

(٢) انظر: الكليات لأبي البقاء: ٦٣٦.

(٣) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٥/ ١٢١٦.

(٤) انظر: صبح الأعشى للقلقشندي: ٦ / ٢٦٧.

قلت: والذي قصده المفسرون هو تقديم طائفة من العلـوم والمباحث المتعلقة بكتاب اللّه بين يدي الناظر في التفسير لفهمه على أتم وجه.

وقد أشار إلى ذلك ابن عطية بقوله: ولنقدم بين يدي التفسير أشياء قد قدَّم أكثرها المفسرون، وأشياء ينبغي أن تكـون راسـخة في حفـظ النـاظر في هذا العلم، مجتمعة لذهنه.(١)

ويقول أبو شهبة: إن بعـض المفسـرين في القديـم والحديـث صـدَّروا كتبهم بمقدمات قيمة في علوم القرآن لتكون مفتاحاً لهذه التفاسير.(٢)

وتعـرض المهتمـون بمنـاهج البحـث مـن المعـاصرين بذكـر عنـاصر التأليف، فذكروا المقدمة والتقديم، ومحتوى كل منهمـا مـن المـادة العلميـة، وكان الاهتمام منصباً على مقدمات الرسـائل العلميـة، وأقتصـر هنـا علـى إيراد نموذج من كلامهم، وأعرض عـن الخـوض في تفـاصيل ذلـك مكتفيـاً بالإحالة إلى بعض تلك المراجع لمن أراد الوقوف عليها.

يرى الدكتور يوسف القاضي أن المقدمة عادة ما يذكر فيهـا الأسـباب التي دفعت للكتابة، والطريقة التي اتبعها، وفكرة موجـزة جـداً عـن فصـول المحتوى الذي يحوي المعلومات المسـهبة لتعطـي القـارئ فكـرة عمـا يتكلـم

---

(١) انظر: تفسير ابن عطية: ١ / ١٢.

(٢) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة: ٣٥.

المرجع.[١]

### ب - نشأة مقدمات التفاسير:

يذهب المهتمون بعلوم القرآن وأصول التفسير إلى أن أقدم من صدَّر تفسيره بمقدمة في علوم القرآن هو شيخ المفسرين ابن جرير الطبري، ثم تلاه غيره[٢]، وهو قول ربما كان من المسلَّمات عند أكثر الباحثين، والصحيح أن هناك من سبق ابن جرير في هذا المنهج بقرن كامل، غير أنه لم يكن على غرار ما فعله ابن جرير من التوسع والشمولية في المعالجة، أقصد عبد الرزاق الصنعاني، المتوفى سنة (٢١١هـ)، فقد اكتفى المتقدم بتقديم جملة من الآثار في بعض المواضيع المتعلقة بنزول القرآن، دون أي تعقيب، ثم تبعهما آخرون توسعوا في المواضيع، واتجهوا إلى جمع الأدلة والآثار وسردها ومناقشتها، كما اهتموا بالتعقيب على أقوال أسلافهم من المفسرين المتقدمين، وانتقل هذا الاهتمام بعلم المقدمات إلى أهل المغرب وبلاد الأندلس، فاهتموا بذلك أيما اهتمام، وكان أكثر من اهتم بذلك ابن عطية،

(١) انظر: مناهج البحوث وكتابتها ليوسف القاضي: ٦١. وانظر للمزيد من تعاريف المعاصرين: كتاب كيف تكتب بحثاً أو رسالة: ١٣٨- والدليل إلى كتابة البحوث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراة لبيكفورد وسميث: ١٠٩- ودليل الباحث: ١٠-.

(٢) انظر: المدخل إلى دراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ٣٥ - والسيوطي وجهوده في علوم القرآن لعبد الحليم الشريف.

والقرطبي وابن جزي وغيرهم.

وهكذا إلى أن جاء السيوطي في المشرق وشرع في تدوين تفسير كبير لكتاب اللّه سماه (مجمع البحرين ومطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية) ووضع كتاباً عليّ الشأن، جليّ البرهان، كثير الفوائد والإتقان، أسماه (الإتقان في علوم القرآن)(١) وجعله مقدمة لتفسيره السابق ذِكْره، وتم بذلك تدوين أوسع مقدمة لكتاب في التفسير، تلك أصل فكرته، ولكن الكتاب لسعته وعدم كمال أصله أخذ استقلاليته.

وتتابع تصدير التفاسير بمقدمات في علوم القرآن على مر العصور والأزمان، فلا تكاد تجد تفسيراً معتبراً إلا وقد احتوى على مقدمة في هذا الشأن، حتى أصبح ما بدأه عبد الرزاق وابن جرير سُنّة متبعة إلى يومنا هذا، فقد ظهرت مقدمات في غاية الإتقان والإجادة كمقدمة «التحرير والتنوير» لابن عاشور، ومقدمة «روح المعاني» للآلوسي، ومقدمة «محاسن التأويل» لجمال الدين القاسمي، وغيرها.

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي: ١ / ١٦ تحقيق الدكتور البغا.